ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

القمة العربية الأولى بعد «طوفان الأقصى» هل تكون الأخيرة؟

ايهاب شوقي

جاءت القمة العربية الثالثة والثلاثون في ظرف عربي ودولي يخلو من الالتباسات وهوامش المناورات السياسية، وهي القمة الأولى رسميًا بعد حدث جلل هزّ أركان المنطقة والعالم وهو «طوفان الأقصى». فقد كانت القمة الطارئة السابقة مدمجة مع قمّة إسلامية، وبالتالي غير معبرة بدقة عن المدى الحقيقي والدقيق الذي وصل إليه العمل العربي الرسمي المشترك.

وفي واقع الأمر، لا يوجد في القمة ولا في بنودها أي أمور تستوجب وقفة تحليلية، فقد جاءت كسابقاتها، تطالب وتناشد وتدين، وكأنها تجاهلت مستجدات المنطقة وتغيراتها الكبرى منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، بل وحتّى تجاهلت المراحل التي أعقبت القمة العربية الإسلامية التي عقدت في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، والتي كان بيانها الختامي يحمل بنودًا أكثر قوة من حيث الصياغة ولغة الخطاب.

إلا أن هناك ثلاثة أمور لافتة تتعلق بالمضمون:

١ - بدأت القمة تناقش اليوم التالي للحرب في غزّة، وكأنها تعلن موافقة جماعية على ترتيبات أميركا وخططها لمستقبل القطاع.

٢ - لم تكتفِ القمة بغياب الحلول العملية؛ بل اتجهت إلى إدانة الحلول العملية التي تعرقل العدوّ مثل استهداف السفن المتجهة إليه وحصاره.

٣ - لم توجه أي خطاب مباشر إلى أميركا؛ بل وجهت خطابًا مفتوحًا لمجلس الأمن، مع أن أميركا هي صاحبة الفيتو على الاعتراف بالدولة التي ينشدونها في بنودهم ومبادراتهم كافة.

مواقف الأنظمة الرسمية باهتة ومخجلة، والجماهير لم تنتظر قرارات مهمة أو مؤثرة، ولكن مراقبة القمة يُعدّ أمرًا مهمًا لمن يرصد الوضع الحقيقي لانعكاسات التطورات والمستجدات الهائلة الأخيرة ومردودها، وما إذا كان هناك أمل في بعض التغير والاستفاقة، ولو حتّى من منطلق الدفاع عن الذات بمعزل عن الثوابت والأمن الجماعي.

لكن- مع الأسف- لم يظهر ما يثبت أن هناك قدرًا ولو ضئيلًا من الاستفاقة أو المراجعة؛ بل على العكس تمامًا، بدت الهيمنة الأميركية واضحة على قرارات القمة؛ بل وكأنّ بعضًا من بنودها قد كتبت بأقلام أميركية. ولعلّ غياب كلمة الرئيس بشار الأسد، كونه

الممثل الوحيد لثقافة المقاومة، هي خير دليل على عبثية القمة واكتفائها بمظاهر صوتية من دون فعل حقيقي، وهو ما يعرفه أي مقاوم ويترفّع عن المشاركة فيه.

لكن تأكيدًا في أن القمة عُقدت برعاية أميركية وخرجت بتوصيات تطابق خطط أميركا، لا بد من إعادة التذكير بما كشفه الرئيس والمدير التنفيذي للمجلس الأطلسي فريدريك كيمبي، مؤخرًا، في مقال عن خطط أميركا وتصوراتها بفعل ضغط الوقت عليها وحتمية إنهاء الحرب بأسرع وقت ممكن، إذ قال نصًا:

"يرى المسؤولون الأميركيون كيفية صياغة استراتيجية تشتمل على العناصر الآتية: قيام «إسرائيل» بإغلاق الحدود المصرية مع غزّة؛ ثمّ تقوم بعد ذلك بمطاردة زعماء حماس من دون القيام بعمليات واسعة النطاق تؤدي إلى خسائر لا داعي لها. وبعد ذلك، سوف تقوم قوة دولية، أو ربما قوة عربية فقط، بتوفير الأمن في غزّة، في حين تعمل «إسرائيل» مع آخرين من أجل إنشاء بنية قيادية فلسطينية قادرة على الضغط على حماس. بعد ذلك، تتفق جميع الأطراف على مسار يؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية، وتتسارع الجهود نحو التطبيع السعودي وإعادة هندسة البنية الأمنية الإقليمية. ولن يكون من السهل تحقيق أي من هذا".

هذه الإستراتيجية الأميركية نلمحها علنًا في بنود القمة، والتي وردت في البيان الختامي؛ وهي:

- "ندعو الفصائل الفلسطينية كافة إلى الانضواء تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، والتوافق على مشروع وطني جامع ورؤية استراتيجية موحدة.

- نجدد موقفنا الثابت ودعوتنا إلى تسوية سلمية عادلة وشاملة للقضية الفلسطينية، ونؤيد دعوة فخامة الرئيس محمود عباس رئيس دولة فلسطين لعقد مؤتمر دولي للسلام.

- الدعوة إلى نشر قوات حماية وحفظ سلام دولية تابعة للأمم المتحدة في الأرض الفلسطينية المحتلة إلى حين تنفيذ حل الدولتين".

وبلحاظ أن الرئيس الفلسطيني اتّهم حماس بتوفير «ذرائع» لـ«إسرائيل» لتهاجم قطاع غزّة، في هجومها غير المسبوق الذي شنّته على أراضي «الدولة العبرية»، فإنّ المؤتمر الدولي المقصود، والذي حرصت القمة على ذكر أنه جاء بطلب من الرئيس الفلسطيني، هو مؤتمر يخلو من المقاومة مع توفير «الذرائع» للعدو لممارسة عدوانه، وأن التوافق حول منظمة التحرير يعني التوافق على غياب ثقافة المقاومة وتوفير بديل مقبول للعدو. وهو السقف الذي يجعله ممثلًا شرعيًا ووحيدًا، وهو ما جاء في خطط أميركا حول بنية قيادية فلسطينية قادرة على الضغط على حماس، وفي الطريق تأتي القوات الدولية لإدارة مرحلة انتقالية لتنحية حماس عن الإدارة وحماية الكيان من الاستهداف وحفظ ماء وجهه.

وممّا لا شك فيه أن إعلان التمسك بحرية الملاحة البحرية في المياه الدولية وفقًا لقواعد القانون الدولي واتفاقيات قانون البحار، وضمان حرية الملاحة في البحر الأحمر وبحر العرب وبحر عمان والخليج العربي والإدانة «الشديدة» للتعرض للسفن التجارية المهدّدة لحرية الملاحة والتجارة الدولية ومصالح دول وشعوب العالم، هو بند أميركي صهيوني صريح لا يكتفي بغياب الفعل واستخدام أي ورقة ضغط، بل وبتجريم من يقوم بفعل ملموس لعرقلة خطط العدوّ ومساعيه في تصفية المقاومة وتصفية القضية.

في الخلاصة؛ إنّ القمة الرسمية الأولى بعد «طوفان الأقصى» قد تكون القمة الأخيرة لنظام عربي مرتهن تخرج بياناته الختامية من واشنطن.

تظاهرات الطلاب في الجامعات الأميركية عملية تراكمية يجب أن تدفع نحو التغيير السياسي

عبير بسام

تفاجأ معظم الناس عندما انطلقت المظاهرات الأسبوعية التي امتلأت بها شوارع المدن الكبرى في العالم الغربي في أوروبا واستراليا وشمال أميركا. وكبر قلب الكثيرين عندما عمت المظاهرات والاعتصامات حرم الجامعات الأميركية من شمال أميركا حتّى جنوبها. لم يعد هناك خطوط حمر أمام المتظاهرين، والقصد خطوط مناطقية أو ولايتية، فأميركا لم تسطر خطوطًا حمرًا في غزّة وتركت الصهاينة يعيثون قتلًا وتدميرًا وتنكيلًا بالفلسطينيين، فقط لأنهم يطالبون بإطلاق الأسرى من السجون وفك الحصار عن غزّة. ولكن ردة الفعل في الشوارع الغربية وفي الجامعات الأميركية ليس مفاجئًا في حقيقية الأمر، فهو نتاج عمل متواصل ودؤوب منذ العام ١٩٩٣ وحتّى اليوم، وظهوره على السطح بهذا الزخم ليس إلا دليل على الجهد والدأب في العمل المتراكم ما بين التحركات الطلابية وحركات المقاطعة حول العالم وصمود أهل فلسطين وغزّة اليوم.

في العام ٢٠٢١، وعقب عملية سيف القدس، نشرنا في موقع العهد مقالًا بعنوان (خطر الحركات الطلابية في أميركا على «إسرائيل»)، وشرحنا في ذلك المقال أمرًا هامًا لا بأس من إعادة التذكير به، وهو أن العمل في الجامعات الأميركية عبر «حركة مقاطعة «إسرائيل»» والمعروفة بـ BDS، أي «حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات»، جاء تتويجًا لما ابتدأته المنظمات الطلابية في الجامعات منذ العام ١٩٩٣. مع العلم، أن نشوء هذه الحركات في العالم الغربي في هذه المرحلة بالذات ليس وليد الصدفة. في العام ١٩٩٠، اجتاح صدام حسين الرئيس السابق للعراق الكويت. أخرج هذا العمل العراق كواحد من أكبر الخاسرين، ولكن من دفع الثمن معه كان الفلسطينيون الذين غرّر بهم للوقوف إلى جانب صدام. وبعد تحرير الكويت طرد الكثير من الفلسطينيين وعائلاتهم، وتفرق معظم هؤلاء وهاجر العديد منهم إلى أوروبا وأميركا. ما حدث كان بمثابة نكبة ثانية، عاشها جيل الألفية الذين خرجوا من مدارسهم وبيوتهم قسرًا للمرة الثانية، مما أعاد تعزيز الفهم بمعنى النكبة الأولى في فلسطين وأنها البلد الوحيد الآمن لشعبه، وابتدأت حركة واسعة بين طلاب الجامعات في الغرب والتي وصلت أوجها في ٢٠٠٥، عندما تأسست حركة مقاطعة «إسرائيل».

الجيد أن بعضًا من المنظمات اليهودية عملت إلى جانب حركة المقاطعة، ومنها «الصوت اليهودي للسلام»، و«ناطوري كارتا». والمنظمتان متهمتان بمعاداة السامية. وحتّى أن حركة المقاطعة اتّهمت بالمعاداة للسامية، وكان هناك تصريح منذ العام ٢٠٢٠ لبوب غودفيلو، المدير التنفيذي لمنظمة العفو الدولية، بعد استهداف وزارة الخارجية الأميركية لحركة المقاطعة، واتهامها بالتهمة «الأبشع» دوليًا وهي معاداة السامية! أن «استهداف وزارة الخارجية [الأميركية] مجموعات داعمة لاستخدام الوسائل السلمية، مثل المقاطعة، لوضع حد لانتهاكات حقوق الإنسان ضدّ الفلسطينيين، باعتبارهم معادين للسامية، ينتهك حرية التعبير وبمثابة هدية لأولئك الذين يسعون إلى إسكات ومضايقة وترهيب وقمع المناضلين في مختلف مناطق العالم".

تنامى دور المنظمات الطلابية في كبرى الجامعات الأميركية، ووصل تأثيره عبر ممثلي الشعب الأميركي في الكونجرس الأميركي، وخاصة هؤلاء الذين عاشوا مرحلة تنامي الحركة الطلابية من أجل دعم فلسطين والذين حازوا على احترام وتقدير أساتذتهم في الجامعات بسبب مثابرتهم واستخدامهم العقل والطرق السلمية بحرفية عالية. في العام ٢٠٢٠ وقف بايدن في الكونغرس الأميركي مطالبًا بإعادة تمويل القبة الحديدية في الكيان، قائلًا إن من حق «إسرائيل» الدفاع عن نفسها، فوقفت في مقابله النائب عن نيويورك الكساندريا أوكاسيو كورتيز وسألت في خطاب حماسي في الكونغرس: «هل للفلسطينيين حق في البقاء؟ هل نصدق ذلك أم لا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فإننا نتحمل مسؤوليته أيضًا». كورتيز من أصل بورتوريكي ومن مواليد العام ١٩٨٩، وهي من الجيل الألفي، الذي نشأ في الجامعات الأميركية، وهو يشهد حركة المنظمات الطلابية المدافعة عن حقوق الفلسطينيين والتي نادت بمقاطعة «إسرائيل» حتّى وقف الاحتلال والانتهاكات الإنسانية. بعد خطاب كورتيز وفي أقل من ٢٤ ساعة أصدرت ١٥٠ منظمة مناصرة لحقوق الإنسان ومجموعات تعنى بالمناخ والقضايا الحقوقية وحقوق النساء والعدالة العرقية بيانًا مشتركًا دعت فيه لمناصرة الشعب الفلسطيني وإدانة عنف «الدولة الإسرائيلية».

بالطبع تكررت المواقف مع النائب الهان عمر. لم تقف اللحظة التاريخية في دعم فلسطين وقضية الشعب الفلسطيني عند عملية سيف القدس، ولا عند ردة فعل العالم الكبيرة على ممارسات الصهاينة الوحشية بطرد أهالي حيّ الشيخ جراح في القدس من بيوتهم، بل استمرت الحملات بالدفع نحو المقاطعة للسنين التي تلت. لكن عملية طوفان الأقصى تسببت بصدمة عالمية حقيقية وبانبهار عالمي، بأنه يمكن لمجموعة مقاتلة أو مسلحة صغيرة، مواجهة جيش «دولة»، ويبدو أن غرور الأميركيين من إدارة بايدن لم يعلمهم الدرس جيدًا، وأن الهراء المتمثل بتعبير العداء للسامية لن يكون بذي مفعول طويل الأمد، فبعد أسابيع قليلة على بَدْء المجازر في غزّة ابتدأت المظاهرات تجتاح شوارع المدن الكبرى، وبعد مئتي يوم من المجازر احتل أنصار فلسطين من الطلاب الأميركيين ساحات الجامعات.

مرور الوقت منذ العام ١٩٩٣، أثبت أن النضال من أجل القضايا العادلة لا بد أن يؤتي أُكله، وخاصة بعد تجربة ٢٠٢١ خلال عملية سيف القدس. إذًا، فالعملية تراكمية ويجب البناء عليها، والحديث عن العجز عن تغيير الرأي العام العالمي ليس بالكلام المقبول اليوم. قد لا يجدي دون القيام بمواقف مبدئية، وفي حال الصمت وعدم المطالبة بالحقوق. وهنا لا يمكننا أن نقلل من نظافة كف المقاومة، بمعنى أنها لم تهاجم حتّى اليوم مركزًا مدنيًا واحدًا، ولم تقصف مشفى أو مركزًا صحيًا أو مركزًا مدنيًا، وحتّى إن كان الاعتبار المنطقي أن هذه المناطق جميعًا في فلسطين هي مراكز احتلال، إلا أنها لم تستهدف سوى المراكز العسكرية في حين أن العدوّ كان يستهدف المدنيين من كبار السن والنساء والأطفال والمشافي ودور العبادة، في وقت لم تستهدف المقاومة فيه كنيسًا يهوديًا واحدًا. وهذا ما بات العالم يراه بوضوح وبات يبني على الشيء مقتضاه.

تتصاعد الحركة التبادلية اليوم في الجامعات الأميركية مع أنّ هناك محاولة من بعض الإعلام الغربي لشيطنتها، وابتدأ التضامن ما بين إدارة الجامعات ومدرسيها وبين الطلاب. حتّى أن بعض إدارات الجامعات مثل جامعة أريزونا وجامعة هارفارد نزلت من عليائها، وابتدأت الحوار مع الطلاب ووافقت على وقف التبادل العلمي ما بينها وبين جامعات الكيان، مما سيكون له تأثير كبير في المستقبل على تقييم جامعات الأخير العلمية، خاصة إذا ما استمر العمل بهذا الاتّجاه. أيضًا أسهمت حركة المقاطعة المتنامية في الأشهر الماضية بإغلاق مطاعم ماكدونالدز في الكيان، وهذا جيد وهام. وهكذا يكون البناء التراكمي لنتائج الاعتصامات الطلابية، وهذا ما أقلق الكثير من المحللين السياسيين الصهاينة. ثم إن الحركة التبادلية للاعتصامات والمظاهرات، والنداء الهام «حرروا فلسطين»، أخذ منحًى هامًا عندما سارت المظاهرات في الضفّة ورفعت اليافطات من غزّة المنكوبة وهي تحيي هؤلاء الطلاب والمتظاهرين، عملية تبادلية هامة لم نشهد لها مثيلًا في التاريخين القديم والحديث، إلا مشهد أولاد الكيان وهم يوقعون الصواريخ التي أطلقت باتّجاه الجنوب والضاحية وقد كتب عليها «من أطفال «إسرائيل» إلى أطفال لبنان» في العام ٢٠٠٦، وشتان شتان ما بين الحدثين.

لقد ابتدأ العالم فعليًا بالتغير، ولكن هناك المزيد مما يجب القيام به والمثابرة حتّى تصبح المؤازرة ما بين قضايا التحرر في العالم العربي وفلسطين بالذات وما بين العالم الغربي وعلى قدر ما يريده أهل العزم. ولكن هل تنجح هذه التحركات في تغيير السياسات الأميركية والبريطانية بالذات في القريب العاجل؟ هنا يكمن الكلام الصعب. فالتغيير في السياسات يتطلب إما الثورة والانتفاضة أو التغيير التدريجي في بنية النظام في الدولتين اللتين تقودان العالم الغربي، الولايات المتحدة وبريطانيا، وخاصة في أكبر دول أوروبا: ألمانيا وفرنسا. وهذا الأمر يتطلب المزيد من العمل! ولكن المأساة أن الانتخابات في هذه الدول تقوم على التبرعات التي يدفعها رجال المال أصحاب البنوك وصناعة السلاح والإعلام وصناعة التقنيات، والتي تبني مصالحها على المصالح الاستعمارية ودم الشعوب وهي من تدير المؤسسات الأمنية. ومع ذلك، ما بدأنا نشهده من تغيير يجب البناء عليه وتغذيته ورعايته والتواصل معه حتّى يتمكّن من تغيير توجه المصالح الانتخابية في العالم الغربي وصولًا للمزيد من أمثال كورتيز وعمر.

العماد.. سلاح الحزب الأمضى

احمد فواد

حين انطلقت عملية «طوفان الأقصى» بدأ واقع جديد بالتشكّل في المنطقة العربية والإسلامية، فقد برزت «وحدة الساحات» بين جبهات الشرف في ردّ أولي على جنون العنف الصهيوني، وارتفعت البندقية العربية لأول مرة حيث تخطت طموحات وأحلام جماهيرها، دخلت المقاومة الإسلامية في لبنان، يوم الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢٣، ثمّ دخلت

جبهات المحور تترى إلى ساحات الجهاد، كان هذا كله تطوّرًا استراتيجيًا وتراكمات طويلة وغالية، سرعان ما فرضت واقعًا جديدًا، ليس على العدوّ وحده، وإنما حتّى على الداعم المباشر في واشنطن.

صورة المنطقة اليوم تغيرت جذريًا عن صورتها قبل ساعة واحدة من صباح السابع من تشرين الأول الماضي، فالقضية الفلسطينية التي وضعت لتنتظر الموت والدفن، بفعل بعض خونة العرب وحكامهم، قد استيقظت كعملاق فرض ذاته على المعركة والمنطقة والعالم. هذا التغير يستدعي قراءة جيدة لأحداث ما قبل الطوفان، ويحتاج إلى قراءة متأنية لقادة هذا النصر الإلهي، القادة الذين حضر حصاد عمرهم الجهادي وأيامهم التي أفنوها في محاربة الباطل ونصر الحق، وهم أحق الناس بالذكر اليوم.

من الثوابت أن العدوّ يتلقى الدعم على مستويين: الدعم الأميركي والغربي بالتبني، ثمّ الدعم الأهم والأكبر من الأنظمة العربية، من فشلها وخنوعها وتآمرها وخيانتها للقضية، ومتاجرتها حتّى بشعوبها مقابل كراسي السلطة. لقد كان التشرذم العربي والانقسام العربي هو ما سمح أولًا بقيام الكيان، ثمّ سمح باستمرار هذه الخطيئة التاريخية والإنسانية والدينية لمدة ٧٦ عامًا.

إذًا، معادلة المواجهة، عقلًا ومنطقًا، كانت تقتضي وحدة من نوع ما بين مجاهدي الأمة، وحدة كاملة بين حاملي دروع الحق والشرف والعدالة. فكما تعلّمنا في تجاربنا العسكرية مع الكيان، إنّ أول ما يفعله عند بداية أي حرب هو تقسيم الجبهات والاستفراد بها واحدة بعد الثانية، حيث يوجه كلّ قوة النيران التي يمتلكها على جبهة واحدة في مرة واحدة، حينذاك تتحول الضربة الثقيلة على الرأس إلى دوار عنيف، وتفقد القيادات وعيها، وتنتشر اتهامات التخوين والتفريط وتعلو النبرة الوطنية الضيقة الذميمة.. ببساطة، يدخل العرب القتال، ثمّ عند أول منحنى على الطريق يتفرقون ويتعاركون، ويتركون للكيان ابتلاع المزيد من أرضهم وشرفهم، ومسح كرامتهم بالوحل.

ما طرأ من تغيير على جبهة القتال كان لعدّة عوامل، أولها أن محور المقاومة الذي قام وتعمد بالدم وبالمعارك المتتالية، أدرك ما لم يره الحكام أو السياسيون العرب الكسالى، رأى أن التفتيت يساوي الهزيمة، وأن انتظار وضع دولي مهيأ لقبول عمل عسكري هو أضغاث أحلام أو تمنيات عاجزة واهمة، وإنه إذا كان هناك سبيل للتحرير والتخلص من هذه السرطان، فهو وحدة السلاح والهدف، وقد منّ اللّه على الأمة في هذه المرحلة برجال كانوا على العهد، سماحة السيد حسن نصر اللّه بحكمته وثقته وتجربته، ثمّ القائد الشريف السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، ثمّ القيادة السورية بمواقفها الراسخة ودعمها غير المحدود بالرغم من كلّ ظروفها، وآية اللّه العظمى الإمام السيد علي الخامنئي بحسمه وتفرد موقفه، بثباته وبصيرته، بروحه وشخصيته التي كانت ركنًا شديدًا لمحور المقاومة كله، وخير ظهير ومعين للمجاهدين والجبهات، البذل الدائم الدائب الكبير دونما انتظار لكلمة تقدير، بل كان سماحة القائد هو الأكثر تأكيدًا في كلّ مقابلة على أن الصمود الفلسطيني هو مفتاح النصر.

هذا على مستوى المعركة، وهي ما تزال طويلة، وما تزال التضحيات فيها واجبة، وتدفع بكلّ رضى وقناعة وحبور.

لكن الإنجاز العسكري المذهل للمقاومة لم يكن وليد السابع من تشرين. هذا الإنجاز جاء بيد الكيان، جريمته التي ارتدت عليه دمًا ونارًا، حين فكرت «حكومة الكيان» الدموية باغتيال الشهيد عماد مغنية، فإنها لم تعرف الشهيد جيدًا، ولم تعرف حزب اللّه من الأصل، الكيان في مواجهة الحزب –دائمًا - كان يظن أنه أمام طرف عربي من الممكن ردعه بالقتل، لن يفهموا أبدًا أن دماء الشهداء تبقى وتحيا وتثمر، لن يدركوا أبدًا لهفة المجاهدين على نيل هذه الدرجة العظيمة، عقولهم ونفوسهم تظن أن الشهادة هي النهاية، وهي أبدًا لم تكن كذلك بالنسبة إلى أفئدة عُلقت بكربلاء، وترتل مشاهدها ليل نهار، وتعدّها الهدف الأسمى للمجاهد.

أحد صنّاع التاريخ الجديد بعد السابع من تشرين الأول، كان هو القائد الحاج عماد مغنية، كما كان السيد مصطفى بدر الدين (ذو الفقار)، وغيرهما من قادة الحزب وأبطاله وصنّاع مجده العظيم. لم يكن النجاح الأكبر للعماد (الحاج رضوان) في أنه غيّر مفهوم المواجهة مع الكيان، وهو قد نجح في جعلها مواجهة عقدية شاملة، ولم يكن إنجازه الأكبر في أنه كسر واقعًا عربيًا سائدًا ومحبطًا ومهزومًا، وهو قد أنجز الكثير في هذا السبيل، ولم يكن تفوقه القاطع الواضح لأول مرة في ساحة قتال عسكري استثناء من مسيرته، وهو استثناء عظيم في مسيرة طويلة وجبارة، لكن أسطورة العماد – معجزته أن دققنا - هو أنه ألهم شباب هذه الأمة روحية القتال إلى الأمام، القتال للتحرير، لا لمجرد الصمود أو الارتكان إلى ما تحقق، جعل إنسان هذه الأمة يرى معنى التحرير ويلمسه ويتفاعل معه، ولو وجدانيًا.

الحاج رضوان- وكما وصفه سماحة السيد حسن نصر اللّه الأمين العام لحزب اللّه- قدم جهاد حياته «صدقة سر مع للّه»، لكن تبقي جملة: «إن من حق عماد على الأمة أن تعرفه، من أجلها لا من أجله»، ومن حقنا اليوم أن نلهج بذكراه، ونصرخ باسمه، عسى العدوّ الغبي يفهم أن هذه الدماء كانت أول مسامير دقت في نعشه، الحاج رضوان كان قادرًا على أن يحوّل هذا الكيان من «غول» في وجدان العرب، إلى وجوه مرعوبة يغطيها الدم والدموع وتتلازم الانسحابات والخيبات مع صورة جنوده المذعورين.

إذا كانت الكتابة هي محاولة لتأطير، أو حتّى تخليد، شخصية أو لحظة فارقة في التاريخ، وبالتالي محاولة التركيز على التأثير العابر للأزمان، في شخصيات ولحظات، هي بذاتها خلاصة الجمال والعظمة والبهاء، فعل اللّه المباشر في الأرض حين يعزّ الفعل ويعجز، وهي - مجردة - كانت كافية لتنور الدرب كله، تحية إلى العماد وذو الفقار، وتحية لكل مجاهد ثابت على الطريق يستكمل المسيرة المظفرة لنفي هذا الشيطان الأميركي ومن قبله التابع الصهيوني من مدننا وبلادنا وأوطاننا، ومن تاريخنا.